

بقلم
رهباء النقاش

أدباء مواقف

أونيسكو ودعوته الى البلاد العربية

قرأت في بعض الصحف ان الاوساط الثقافية في الكويت قد ارسلت دعوة الى « يوجين اونيسكو » الكاتب المسرحي الفرنسي المعروف لزيارة الكويت . وقد جاءت هذه الدعوة بالرغم مما اظهره اونيسكو من ميل نحو اسرائيل وما اعلنه من آراء مؤيدة لليهود . وقد سألت بعض الادباء الكويتيين عن معنى هذه الدعوة الموجهة للسي اونيسكو فقالوا : ان الدعوة تهدف الى اجراء حوار ومناقشة بين اونيسكو والادباء العرب حول قضية فلسطين والقضايا العربية الاخرى . ولعل هذه المناقشة ان تنجح في كشف الحقيقة امام « اونيسكو » وتحويله عن موقفه الى موقف اخر سليم وصحيح .

ومن ناحية المبدأ ... لا أحد يعترض ابدا على اجراء حوار مع الادباء والمفكرين العالميين حول القضايا العربية المختلفة ، ولا أحد يعترض على أن تجري المناقشة حتى مع هؤلاء الذين يقفون منا موقف العداوة والخصومة ، فليس من العقل ان نتصور اننا نقضي على خصومنا الفكريين بتجاهلهم ورفض الحوار معهم بأي صورة من الصور .. ذلك ولا شك اسلوب خاطئ بضرنا اكثر مما يضر الاخرين ، فمن الضروري ان نخلق حوارا دائما بيننا وبين خصومنا الفكريين في الغرب ، لان هؤلاء الخصوم يملكون قدرة واسعة على توجيه الرأي العام العالمي وعلى التأثير في القرارات الكبرى التي تتخذها الدول بعد ذلك بالنسبة لنا وبالنسبة لغيرنا على السواء .

ورغم هذه المقدمة فاني اعترض على دعوة اونيسكو لزيارة البلاد العربية . وما دمننا ندعو الى مبدأ الحوار مع اعدائنا فسي الغرب فيجب ان نطبق هذا المبدأ تطبيقا امينا واعيا ، والا انتهى بنا الامر الى اخطاء كبيرة في حق انفسنا وفي حق قضايانا المختلفة . واختيار اونيسكو لدعوته الى الوطن العربي هو تطبيق غير

سليم لمبدأ سليم .

فاونيسكو لم يعد كاتبنا ناشئا صغير السن بحيث يمكن ان ننتظر منه في المستقبل تأثيرا له قيمة على المثقفين والرأي العام في اوربا .. وهناك كتاب ترداد قيمتهم لدى الجماهير كلما تقدموا في السن ونضجت افكارهم ، ولكن اونيسكو واحد من الذين يفقدون تأثيرهم يوما بعد يوم في اوربا ، لقد كانت الفترة الزدهرة في حياته الفنية هي فترة الخمسينات ، وبعدها اخذ نفوذه الادبي يتضاءل حتى اصبح الان من اقل الفنانين والمفكرين تأثيرا في الحياة الادبية والفنية من ناحية وفي الحياة السياسية من ناحية اخرى . فما هي الجدوى اذن من اجراء حوار مع كاتب ينتهي ويفقد نفوذه الفكري والفني ؟ ما هي الجدوى من مناقشة كاتب لم يعد في قلب الحياة الفكرية والادبية وانما اصبح على الهامش رغم ما يناله من تكريم رسمي بين الحين والحين تقديرا لماضيه .. ومن الوان هذا التكريم الرسمي: انضمامه اخيرا الى الاكاديمية الفرنسية التي يطلق عليها مجازا اسم اكاديمية الخالدين ...

الم يكن من الافضل ان نبحث عن ادباء ومفكرين شبان ، او

ادباء ومفكرين ما زالوا محتفظين بتأثيرهم على الرأي العام العالمي حتى ولو كانوا قد تجاوزوا مرحلة الشباب وتقدم بهم العمر ؟ ما هي الجدوى من اقناع فنان مثل اونيسكو لن يفيدنا اقناعه في شيء ، لان صوته لم يعد مسموعا كما كان ، ولان دوره قد تضاعل الى ابعد الحدود .. ربما دون ان ندري نحن ، حيث اننا قد تعودنا منذ فترة طويلة ان نعرف حقيقة الاوضاع الفكرية والادبية والفنية في العالم متأخرين دائما سنوات وسنوات عن الزمن الحقيقي لظهور هذه الاوضاع . وما نحن نتشبه بفنان اصبح اقرب الى « الجثة الادبية » بينما العالم كله ينظر اليه كما ينظر الى اثر من آثار القدماء .

ولقد قال اونيسكو عندما سألته بعض العرب عن سر موقفه من اسرائيل : « انه لا يعرف شيئا عن العرب ولا عن قضيتهم ، ولكنه يعرف مشاكل اسرائيل وحقيقة وضعها ولذلك فهو يدافع عنها وبؤدها . وانا انقل هنا معنى كلام اونيسكو ولا انقل نص كلامه ، ذلك لاني سمعت هذه الاجابة على لسان بعض الاخوة العرب الذين اتصلوا باونيسكو لاقتناعه بقبول الدعوة لزيارة البلاد العربية . واود ان اسأل امام اجابة اونيسكو : هل من السليم ان يقف مفكر كبير الى جانب قضية لم يدرس منها غير وجه واحد دون ان يلتفت الى وجهها الاخر ؟ وهل من السليم ان يتخذ المفكر موقفا واضحا مثل موقف اونيسكو بحجة ان احد الاطراف في قضية الصراع العربي الاسرائيلي لم يشرح وجهة نظره بوضوح امام اونيسكو نفسه ؟ . الم تكن الامانة تقتضي ان يدرس اونيسكو حقيقة هذا الصراع دراسة كاملة قبل ان يتخذ موقفه العلني الواضح في تأييد اسرائيل والدعوة الى قضيتها دعوة صريحة امام الرأي العام العالمي كله ؟ ..

ان كسرا من المفكرين الغربيين قد ابدوا قضية فيتنام ووقفوا الى جانب هذه القضية دون ان يتصل بهم احد من الفيتناميين ، ذلك لان هذه القضايا الكبرى مثل قضية فيتنام وقضية فلسطين وقضية انجولا وغيرها من القضايا العالمية هي كلها قضايا تعلن عن نفسها دون خفاء . انها ليست قضايا سرية ، فكل احداثها تقع يوما بعد يوم تحت سمع الناس وابصارهم ، فخيام اللاجئين الفلسطينيين حقيقة علنية واضحة لا خفاء فيها ولا سر ، والطائرات التي تهدم القرى والمدن وتقتل البشر في فيتنام حقيقة هي الاخرى لا خفاء فيها ولا سر ، والمفكرون الكبار في هذا العالم هم من ينسئ عليهم ، ان يدركوا هذه الحقائق ، وان يقفوا الى جانب الحق والعدل فما دون ان يدعوهم احد الى ذلك . اما الذين ينتظرون ان نذهب اليهم - كعرب - ليسمعوا منا قبل ان يحكموا لنا او علينا فهم فسي حقيقتهم اعداء مصممين على عداوتهم لنا مهما تظاهروا بعكس ذلك ، ومثل هؤلاء لا امل في تغيير موقفهم او اتجاههم على الاطلاق ، فهم لا يبحثون عن الحق والعدل ، والا كانوا منذ البداية قد بذلوا بعض الجهد في معرفة الحق والعدل . ولكنهم يريدون ان يجلسوا

ولكن مصر عربية أيضا . . .

اصدرت مجلة « الجديد » القاهرية منذ اسابيع عددا خاصا عن الشخصية المصرية ، وكان العدد يضم مقالات متعددة ومتنوعة ويحتوي على ابحاث تتناول الشخصية المصرية في مختلف جوانبها و مراحل تاريخها المتنوعة . ولكن قراءة هذا العدد قراءة متأنية تلفت النظر الى قضية هامة ارجو أن يعالجها الاساذ الدكتور رشاد رشدي وغيره من المسؤولين عن هذه المجلة .

هذه القضية التي أعنيها هي قضية «عروبة مصر» ، فالعسد الخاص اندي اصدرته «الجديد» عن الشخصية المصرية ليس فيه اي اشارة الى أن « مصر عربية أيضا » الى جانب ما مر بها من مراحل تاريخية وما احتفظت به في تكوينها من عناصر حضارية متنوعة ، بل ان عروبة مصر هي الاطار الرئيسي الذي تتحرك فيه الشخصية المصرية في المرحلة الراهنة من مراحل التاريخ ، وأود هنا أن أسجل بعض الملاحظات التي قد تبدو من البديهيات الفكرية ، ولكن تكرارها هو امر ضروري حتى يكون من الممكن في نهاية الامر أن ننظر الى مصر نظرة فكرية سليمة ، خاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها مصر والامة العربية كلها .

الملاحظة الاولى هي أن عروبة مصر لا تعني أبدا رفض تاريخها الحضاري القديم السابق على الفتح العربي واندماج مصر في الامة العربية ، فالحضارة الفرعونية على سبيل المثال هي ولا شك جزء عزيز من تراث مصر الحضاري ، وعروبة مصر لا تعني أبدا انكار هذا التراث ولا تجاهله ولا اهماله ورفضه . ولكن الرفوض حقا هو الدعوة التي تبناها البعض سرا أو جهرا والتي تنادي باحياء التراث الفرعوني كله ورفضه على المرحلة الحضارية الراهنة . وهذه الدعوة تصل في بعض الاحيين الى نوع من الايمان ببعض الافكار الخيالية التي تقول باحياء الهيروغليفية أحيانا ، فان لم يكن ذلك ممكنا ، وهو غير ممكن بالتأكيد ، فلنكن لفتنا هي احدى اللغات الاوروبية ، فان لم يكن ذلك جائزا أو ممكنا فلنكتب لغتنا العربية بالحروف اللاتينية ، لعنا بذلك أن ننتمي الى أوروبا بدلا من انتمائنا للعرب في آسيا و افريقيا . ان الحضارة الفرعونية شيء وأمثال هذه الدعوات المتطرفة الخيالية شيء آخر ، فالحضارة الفرعونية كنز من كنوز مصر ، سواء فيما بقي منها من آثار أو فيما بقي منها من قيم أخلاقية أو حضارية عامة يشرحها لنا بمتنتهى الوضوح والعمق والدقة العالم الاثري الكبير بريستد في كتابه «فجر الضمير الانساني» .

الملاحظة الثانية : هي ان مصر لها رسالة حضارية واضحة ، فهي أكثر البلدان العربية كثافة سكانية وهي أقدم هذه البلدان ارتباطا بالحضارة العصرية وأسبقها جميعا الى الدخول فيما يمكن أن نسميه باسم « عصر التنوير » في التعليم والثقافة والعلوم والفنون وال عمران . ومجال التأثير امام الكاتب والفنان والمهندس والطبيب وغيرهم في مصر لا يقتصر أبدا على مصر وحدها وانما يتسع ويمتد الى الوطن العربي ، ولا شك أن رسالة مصر سوف تكون قاصرة وناقصة ومحدودة اذا ضربت على نفسها أو ضرب عليها الآخرون حصارا حضاريا منها من الاتصال بالوطن العربي أو التأثير فيه . . . ان مصر في هذه الحالة سوف تكون اصغر من حجمها الحضاري الحقيقي بكثير ، وسوف تفقد حيويتها وفرصتها للتقدم . . . ولا زلت اذكر تلك العبارة العميقة الصادقة التي سمعتها من استاذ عربي كبير منذ سنوات حيث يقول هذا الاستاذ الكبير « ان تعريب مصر يعني في نفس الوقت تصدير العرب » ، فلقد تعودت مصر ان تهضم التطورات الحضارية المختلفة وتستخلص منها جوهرها وتصيفه بصيغة خاصة وتفرض من خلال هذه الصيغة تأثيرها ودورها ورسالتها ، وأكبر مثل على ذلك هو « الاسلام » . . . فلم تكن مصر هي اول مجتمع دخل في الاسلام ، ومع ذلك فقد سارت التطورات الحضارية المختلفة في اتجاه جعل من « الفكر الاسلامي » في مصر صورة سليمة لجوهر الاسلام بعيدا عن كل التعقيدات المذهبية والطائفية

في مقاعد القضاة المعادين المعاديين وهم في حقيقة الامر ليسوا قضاة ولا محايدين وانما اعداء قد حددوا موقفهم منذ البداية لاسباب خاصة بهم ويتكويهم الفكري ، وليس ما يردده امثال اونيسكو من أنهم لا يعرفون شيئا عن العرب الا حجة واهية يريدون بها ان يستروا موقفهم العدائي الصريح ويكسوه شكلا من اشكال العدالة والنزاهة في نظر المتعرضين والمستنكرين .

ان المؤرخ الانجليزي الكبير ارنولد توينبي قد وقف الى جانب العرب دون ان يدعو احد الى اتخاذ هذا الموقف ، وذلك لمجرد انه قرأ التاريخ بامانة ، وتابع الواقع الانساني المعاصر بضمير مخلص نزيه ، وراى في النهاية مدى ما في موقف اسرائيل من خطأ وعدوان على حقوق الشعوب العربية ومدى ما في قضية العرب من عدالة جنى عليها تامر واسع ، حيث كانت اسرائيل اداة رئيسية من ادوات هذا التآمر التاريخي الكبير .

وهناك ادياء ومفكرون عالميون آخرون اتخذوا موقفا سليما من العرب وقضيتهم العادلة اذكر منهم الكاتب والفيلسوف اليهودي الاميركي اريك فروم . ولقد كان اريك فروم بالذات اجدر باهتمامنا من اونيسكو ، لان اريك فروم يهودي ، ولانه كاتب ذو تأثير ضخم على الرأي العام المثقف في اميركا بعد ان استطاع هذا الكاتب الكبير ان يحتل مكانا مرموقا في مجال الدراسات النفسية والاجتماعية ، حيث اصبح الان واحدا من كبار المفكرين التقدميين في العالم كله .

ويجب ان نذكر اخيرا حقيقتين كبيرتين ، الاولى هي ان مدرسة « اللامعقول » التي يعتبر اونيسكو احد اعلامها في المسرح المعاصر . . . هذه المدرسة قد اخذت قيمتها تتضاءل وتخبو ، واصبحت الان بعيدة تماما عن المكانة الاولى التي احتلتها في اوائل الستينات ، وبرزت مدارس مسرحية اخرى اصبحت اكثر اهمية وتأثيرا من مدرسة اللامعقول ، مثل « المسرح التسجيلي » و « المسرح السياسي » .

اما بالنسبة للمسرح العربي فقد انتهت موجة اللامعقول بعد مد صغير محدود ، ذلك لان هذه المدرسة بعيدة كل البعد عن القدرة على التعبير عن مشاكلنا العربية الحقيقية ، في وقت يعيش فيه العرب قضايا هامة وحاسمة ، تحتاج كلها الى الوان من التعبير الفني مختلفة كل الاختلاف عن مدرسة اللامعقول .

وهكذا تبدو مدرسة « اللامعقول » منتهية ، او على ابواب الانتهاء في العالم وفي الوطن العربي على السواء .

ومن ناحية اخرى نجد أن اونيسكو قد كشف عن بعض آرائه الفكرية في السنوات الاخيرة ، من بينها رأيه الشهير في الكاتب المسرحي « برتولت بريخت » . . . لقد تعرض بريخت لهجوم عنيف من جانب اونيسكو . واهمية هذا الهجوم أنه يمتد من بريخت الى الادب الواقعي والثوري بصورة عامة . ولست ادري : هل نحن بحاجة الان الى من يقنعنا بان الادب الواقعي والثوري لا قيمة له ولا دور ولا أهمية ؟ ان الواقع الادبي العربي يتجه بصورة قوية واضحة - في نماذجه الرفيعة - الى المساهمة في تغيير المجتمع وتشكيل المصير العربي الجديد . ولا يوجد اديب عربي له قيمته ووزنه يرضى لنفسه ان يعتزل بفكره وقلمه عن مشاكل الارض العربية . . . هذه المشاكل الحادة المتفجرة والتي يتوقف على مواجهتها ومعالجتها مصير الامة العربية لمئات السنين القادمة فلماذا نختار اونيسكو من بين الجميع لدعوته الى زيارة الوطن والدخول معنا في مناقشة حول آرائه المؤيدة لاسرائيل والمعادية للعرب . . هل لانه كاتب فقد الكثير من قيمته ومكانته ؟ هل لانه ينتمي الى مدرسة فنية وفكرية لم يعد لها تأثير كبير ؟ هل لانه يهاجم الادب الثوري الواقعي ؟ . . . لست ادري بالتحديد ، ولكن الذي ادعو اليه هو ان ننسبه ونكون على وعي اكثر في اتصالاتنا بالادباء والمفكرين العالميين حتى نتصل بمن لهم قيمة ومكانة وحتى نتبادل الرأي والحوار مع من يجدي معهم مثل هذا الجهد . . اما اونيسكو فيكفي ان نقول انه ايد قضية اسرائيل ورصد دخل مسرحياته ليكون في خدمة هذه القضية وقال يوما انه لن يسمح بتمثيل اي مسرحية من مسرحياته في أي بلد عربي . . .

المختلفة « فالصوريون شيعيون في مواطنهم سنيون في سلوكهم الديني »
... وهكذا فمصر تهضم وتوحد وتلعب دور المزج بين العناصر المتعددة
للخروج في النهاية بتركيبة واحدة أساسية . فرسالة مصر الآن مرتبطة
أشد الارتباط بدورها العربي ، ومرتبطة أشد الارتباط بتأثيرها بالوطن
العربي وتأثيرها فيه .

الملاحظة الثالثة : هي أن الذين يتصورون أحيانا أن تخلص مصر
من ارتباطها العربي سوف يربحها من عبء النضال على الجبهة
الإسرائيلية ... هؤلاء الذين يتصورون ذلك مخطئون ولا شك ، فالحقيقة
التي يمكن كشفها بسهولة ويسر هي أن إسرائيل سوف تصطدم حتما
بمصر « حتى لو كانت مصر تتكلم العربية وترفع يديها أمام إسرائيل » ،
ذلك لأن التقدم الإسرائيلي الاقتصادي هو تقدم ذو طبيعة استثمارية
عنوانية ، فإسرائيل لا تستطيع أن تعيش إلا إذا كانت أقوى دولة في
المنطقة من الناحية الاقتصادية والحضارية عموما ، ولن تسمح إسرائيل
بأن تكون هناك قوة أخرى مشابهة لها أو متفوقة عليها حتى لو تدرعت
هذه القوة بكل الشعارات السياسية التي ترضي إسرائيل وانصار
إسرائيل ، ومصر هي القوة المرشحة بالدرجة الأولى لمقاومة النفوذ
الاقتصادي والثقافي والحضاري لإسرائيل ، ولذلك فإن إسرائيل سوف
تصطدم حتما بمصر ... سواء كانت مصر مرتبطة بالاتجاه العربي أو غير
مرتبطة به ... ولكن مصر العربية سوف تكون دائما أقوى وأكثر تأثيرا
من مصر المصرية المتخلفة عن رسالتها العربية .

هذه بعض الملاحظات التي ينبغي أن نتذكرها دائما ونحن نتحدث
عن شخصية مصر ، وعن صلة مصر بالعروبة .. فمصر جزء حقيقي من
الإمة العربية ، ورسالتها هي رسالة عربية بالدرجة الأولى ، ومصيرها
مرتبط تمام الارتباط بالمستقبل العربي كله ... وهذا ما يجب أن نتذكره
دائما والا كنا غارقين في الأوهام والأخطاء والأفكار البعيدة عن حقيقة
رسالة مصر الحضارية من ناحية البدء والمصلحة على السواء .

المرضى دائما على خطأ !

يتعرض بعض أدبائنا في الظروف الراهنة التي تمر بها الإمة
العربية لاضطرابات نفسية تؤثر أحيانا على تكوينهم العضوي وتنتهي بهم
إلى أمراض تهدد حياتهم تهديدا كبيرا . ولا شك أن هناك بعض الأمراض
التي تعرض لها الأدباء هي جزء من نصيبهم الإنساني العادي في هذا
الوجود ، ولكن الظروف النفسية والعصبية والفكرية التي يمر بها
الأدباء تساعد من ناحية أخرى على مضاعفة الإخطار التي يتعرض لها
هؤلاء الأدباء ... فالجسم الذي يتعرض للمرض يصبح أكثر عرضة
للخطورة إذا كان جسم فنان أو مفكر حساس قلق . ولا زلت أذكر
الإمام النفسية التي عاناها الناقد المصري المرحوم أنور المعداوي الذي
توفي سنة ١٩٦٥ وهو في الخامسة والأربعين من عمره . فقد مات
هذا الناقد الفنان بعد سنوات من المرض العضوي ، ولكنني لا أشك
- وقد كنت قريبا منه تلميذا وصديقا له - أن الإمام النفسية التي
تعرض لها هذا الناقد الفنان كانت هي الأساس الذي قضى عليه . لقد
كان يستنكر بعض الظواهر الفكرية الأساسية في الحياة الأدبية ، وتحول
هذا الاستنكار إلى نوع من التمزق النفسي والرفض العنيف للحياة ،
بل والرفض العنيف للإنتاج الأدبي نفسه ، مما أدى بهذا الناقد في
نهاية الأمر إلى أن يفقد حياته في سن مبكرة وهو الذي كان يتمتع
بجسد قوي متماسك . ونحن نذكر كذلك الإمام بدر شاكر السياب ، التي
كانت كما قال هو نفسه أشبه بالإمام أيوب ولكن في صورة عصريّة جديدة
... لقد كانت الإمام السياب عضوية ولا شك ، ولكن الذين عرفوا
السياب في سنواته الأخيرة يقررون أن إمامه النفسية كانت سببا من
أسباب القضاء عليه . ولو بحثنا في أيام كل الأدباء والمفكرين الذين
تعرضوا لمحنة من هذا النوع لوجدناهم جميعا ضحايا إمام عضوية
ونفسية في وقت واحد .

وأنا أكتب هذه السطور لكي ألفت نظر الأدباء والمنظمات الأدبية

المختلفة إلى هذه القضية ، فلا بد أن يكون هناك من الاهتمام - في
صورة أو أخرى - بالإمام هؤلاء الذين يحملون القلم مهما كانت اتجاهاتهم
مختلفة متباينة ، ما داموا في النهاية يتحركون في إطار الثقافة الوطنية
العربية . فالذي يحدث الآن هو نوع من الإهمال الكامل لهؤلاء الذين
يسقطون من الألم أو الاضطراب النفسي في الحياة الأدبية العربية...
إننا نهملهم جميعا ولا ننتبه إليهم ، حتى إذا جازنا خبر عن رحيلهم أو
سقوطهم النهائي ذرفنا بعض الدموع ثم نسينا كل شيء ، وسكتنا
على الذكرى دون حزن حقيقي أو ألم صادق . وأنا لا ادعو إلى نوع
من الجهود الفردية في هذا الميدان ، فالجهود الفردية مطلوبة حقا ،
وقد تخفف هذه الجهود دمة أو تعالج جرحا ... ولكن المسألة ينبغي
أن تتعدى هذا الأمر إلى جهد منظم دقيق للمؤسسات الأدبية والثقافية ،
رسمية كانت أو غير رسمية... ينبغي أن يكون هناك ضمير أدبي يقظ ،
يدفع الأدباء إلى أن يمدوا أيديهم بقدر ما يستطيعون لحماية كل من
يسقطون في الألم والاضطراب النفسي ويفقدون سلاحهم الرئيسي وهو
القلم .

أكتب هذه السطور السريعة وفي ذهني نموذج من شباب الكتاب
في مصر هو : اسماعيل المهدي . والمهدي كاتب شاب كان له دوره
في الخمسينات وأوائل الستينات ، وبالنسبة لي شخصيا فإني كنت
أختلف معه أشد الاختلاف في كثير من آرائه ومواقفه ، ولكن المسألة
الآن ليست مسألة آراء ومواقف ... بل هي مسألة « صاحب
قلم » سقطت تحت ظروف عصبية ونفسية حادة ، فأنتهى به الأمر إلى
مستشفى الأمراض العصبية ... وبصراحة أكثر انتهى به الأمر إلى
مستشفى المجانين . ومع ذلك لم تحرك هيئة أدبية أو ثقافية واحدة
لمعرفة أوضاعه الحقيقية ، ومساعدته في محنته ... لم يسأل أحد
عن أسرته وأولاده ... لم يسأل أحد عن مستوى علاجه هل هو
المستوى المناسب أم أنه مستوى غير قادر على أن يصل بهذا الكتاب
إلى أي درجة من درجات الشفاء . ولم يسأل أحد هل هناك رعاية
كافية لكرامة هذا المريض المثقف أم أن المسألة هي أنه قد تحول إلى
مجرد مريض عادي لا أهمية له ولا قيمة ... إن هناك شيئا حقيقيا
اسمه كرامة المريض ، ومريض من هذا النوع الذي يعاني من اضطراب
عصبي ونفسي يمكن أن يتعرض لازمة أكثر عنفا وحدة إذا كانت ظروفه
العلاجية سيئة وردية . ولن أطيل في الحديث عن هذه القضية
القاسية العنيفة ، ولكن يكفي أن أقول أن كل أديب وفنان معرض
لهذا النوع من الاضطرابات العصبية والنفسية ... وعلى كل صاحب
قلم أن يساهم بشكل أو بآخر في حماية رفائق القلم من المحن والألام
المرتبطة بهذه المهنة بالذات ، وفي الظروف العربية الراهنة على وجه
الخصوص ... إن اسماعيل المهدي ليس هو النموذج الوحيد في
هذا المجال فهناك نماذج أخرى متعددة ... ولكنه أقدم اسماعيل
المهدي كمثال ... لعله يوقظ ضمير المنظمات الثقافية والأدبية في
الوطن العربي فيمد يدها إليه وإلى كل من يتعرض لمحنة إنسانية
ونفسية وعصبية من أصحاب الأقلام .

وكل صاحب قلم هو في النهاية وفي مجتمع متالم ومجروح مثل
مجتمعنا معرض لمثل هذه المحنة ... وإن لم ينتبه أصحاب الأقلام
إلى ذلك فإنهم ولا شك سوف يتحملون أمام التاريخ مسؤولية سقوط
أكثر من كاتب وأكثر من جندي وأكثر من فنان ... وسوف يكون الحساب
في يوم من الأيام مؤلما وعسيرا إلى أبعد الحدود .

لا يجوز أبدا أن نقول بيننا وبين أنفسنا : إن المريض دائما على
خطأ ... فنفساه ونهمله ونعتبره مستولا عن نفسه وعن مصيره ومحنته!
هذا موقف لا يليق بأصحاب الأقلام ولا يليق بأصحاب القلوب
والعقول والضمائر .

إنه موقف غير إنساني وغير كريم .

رجاء النقاش

القاهرة